الفصل السادس

النظريات الكمية للسكان

أولا : — نظريات ترمى إلى زيادة عدد السكان Expansive Population doctrines ؛ وقد ظهرت الاتجاهات الرامية إلى زيادة عدد السكان منذ قديم الزمن ، وكما ساعد على ظهور مثل هذه الاتجاهات اعتبارات عديدة نجمل أهمها فيما يلى .

أولا : — زيادة عدد السكان فى الدولة يزيد من قوتها الحربية.

فالرغبة فى الفتح والتوسع وتشييد الامبراطوريات كان يتطلب ولا شك زياده متتابعة فى عدد السكان حتى يتيسر للدولة حشد الجيوش وشن الحروب والغزوات . والتاريخ يحدثنا عن كثير من الملوك والاباطرة الذين لم يكن لهم من هم إلا أشعال نار الحروب وتسيير الجيوش ابتغاء للمجد وحبا فى السيطرة .

ولكننا يجب ألا نغفل ناحية هامه فى هذا الشأن ، ذلك أن الزيادة السكانية بقصد القوة الحربية الصرفة لابد أو يكون له أخطر العواقب مالم تسايره تدابير اقتصابة معينه ، فالجيوش الكبيرة تتطلب نفقات مختلفة فضلا عن أن عدداً كبيراً من الأيدى العاملة المنتجه يكون معطلا بسبب تعبئتهم فى وقت الحروب أو الاستعداد لها . ولذلك فإن الدولة التى تجعل همها زيادة السكان بقصد القوة الحربية فقط دون مراعاة للاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية الأخرى قد تجد نفسها فى وقت من الأوقات فى موقف حرج وقد يسبب لها ذلك انهياراً لم يكن بالحسبان .

ولكن إذا كانت القوة العسكرية يتبعها غزو أراضى جديدة من الممكن أن تكون مجالا حيويا لهجرة السكان ففى هذه الحالة قد يمكن تحقيق الموازنة

الاقتصادية . بين عدد السكان المتزايد وبين الموارد الغذائية والمادية التى تتحكم فيها الدولة .

وهناك مسألة أخرى قيمة بالاعتبار وهى أن انتقال المجتمع من شكل اجتماعى معين . إلى شكل إجتماعى آخر يمكن أن يُحدث نوعاً من التقدم الاقتصادى الذى يسمح بنجاح سياسة الحكام العسكريين فى سياستهم السكانية التوسعية ، فانتقال المجتمع من مرحلة الرعى إلى دور الاستقرار والزراعة أو انتقاله من دور الزراعة إلى دور التجارة والصناعة يمكن أن يفسح المجال أمام السياسة التوسعية . ولذلك يذهب بعض العلماء إلى القول بأن الدولة أو الحاكم الذى يهدف إلى سياسة توسعية فى سكانه يمكن أن يكون نجاحه مضموناً ومأمون العاقبة لو أنه أستطاع أن يطور — فى نفس الوقت — مجتمعه إلى حالة اقتصادية أفضل من التى كان عليها قبلا .

والدعوه إلى الزيادة السكانية بقصد العزة الحربية قديمة قدم التفكير الاجتماعى فقد تبنتها « أسبرطة » ثم فلاسفة الرومان بعدهم ، كما تبناها نابليون بونابرت وموسيلنى وهتلر فى العصر الحديث . وقد اتخذت الدعوة النازية إلى زيادة عدد السكان شكلا سياسيا وعسكريا واتنولوجيا ، وقد حمل أودلف هتلر فى كتابه « كفاحى » حملة شعواء على الذين كانوا يدعون إلى تحديد النسل فى المانيا ويقول « إن طريقة الإنسان فى تحديد النسل هى نقيض لأسلوب الطبيعة ، فالطبيعـــة إذ تدع للبشر حرية التناسل تخضع سلالتهم لامتحان قاس ، وتختار أصلحهم للحياة فتحتفظ بهم وتكل إليهم مهمة حفظ النوع ، وأما الإنسان فإنه يحد من نسله بوسائله الخاصة ولكنه يصر على حفظ كل كائن بعد مولده سواء كان صالحاً للحياة أم لم يكن ، وبهذه الطريقة يمكن الحد من العدد ولكن قيمة الفرد تتضائل كما تتضاءل جودة النوع . . ليعلم أذن الذين يفكرون فى حل مشكله تزايد السكان باللجوء إلى الطريق المتبعة فى فرنسا (أى بتحديد النسل)

أن هذه الطريقة تعنى القضاء على مستقبل الشعب الألمانى » .

فالنظرية النازية فى زيادة السكان لم تكن تدعو إلى الزياده المطلقة لكل سكان العالم ولكن تؤيد الزيادة فى سكان المانيا أو الجنس الجرمانى فقط على أساس أنه الجنس الأمثل الذى تقع على عاتقه مهمة حمل مشعل الحضارة . وهى فى هذه النقطة بالذات تختلف عن السياسات السكانية التوسعية الأخرى وخاصة الاشتراكية .

ثانيا : — زيادة سكان الدولة تعتبر قوة تؤدى إلى احترامها فى المحيط الدولى وتؤدى إلى زيادة رقعتها وتبرير مطالبتها بمجالات حيوية . فانجلترا مثلا بعد أن أخذت بآراء مالنس Malthus ردحاً من الزمان وجدت من عدد سكانها رجعت وأخذت بآراء العلامة هربرت سبنسر H. Spencer فعملت على الاكثار من النسل وإلى الاعتداء على غيرها ، وأتخذت من الزيادة السكانية حجة للمطالبة بمجالات حيوية وقد تبعتها فى ذلك معظم الدول الأوربية فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن وبخاصة ايطاليا والمانيا ، فقد أعتدت أيطاليا على ليبيا والحبشة وتغلغلت فى تونس ، وأعتدت فرنسا على الجزائر وتونس والمغرب وأعتدت بلجيكا على الكونغو . . . الخ ويقول هتلر فى كتابه « كفاحى » .

« على الألمان أن يعتنقوا وهم مرتاحو الضمير ، النظرية القائلة أن إرادة الله مافضت ولا يمكن أن تقضى بأن يكون لشعب من الأرض خمسون ضعف مالشعب آخر ، وأنه إذ كانت الأرض التى عليها نعيش قادرة فعلا على إعالة الجميع ، فليس من العدل أن يحال بيننا وبين إحراز المدى الحيوى لنمونا وبقائنا . إن التسليم بحقنا فى التوسع لن يكون عفو الخاطر ، فهناك ما يبرر حق كل فرد فى الكفاح لتأمين ما يكفل له البقاء ، وما يعجز اللين عن احرازه ، على القوة أن تناله » .!

ثالثا : — زيادة عدد سكان الدولة زيادة لقوتها الاقتصادية ،

إذ أن كثرة القوى العاملة فيها سوف يزيد من قوة الانتاج . وبينما يرى هذا الرأى فريق من العلماء يرى فريق آخر أن السكان وزيادتهم ليست هى سبب القوة الإقتصادية بل إن الزيادة السكانية هى التى تعتبر نتيجة للقوة الاقتصادية أو الرفاهية والتقدم الاقتصادى فالفرص الاقتصادية الجديدة فى الدولة قد يكون لها من الآثار السكانية التوسعية ما يفوق غيرها من الأسباب . فالظروف الاقتصادية والتطور نفسه نقلت السكان فى العصور القديمة من حياة الصيد إلى الرعى ، ثم استقرت بهم بعد ذلك فى عهد الزراعة ثم تطورت بهم إلى عهد الصناعة والانسان فى هذه الحياة المتطورة يتقبل فى سهولة ما تمليه عليه الظروف الاقتصادية . وغنى عن البيان أن التحسن العظيم الذى طرأ على العالم فى الناحية الاقتصادية بعد الثورة الصناعية والتقدم التكنولوجى فى أواخر القرن الثامن عشر ، أدى إلى زيادة هائلة فى سكان الدول الصناعية خلال تلك الفترة بشكل لم يسبق له مثيله فى تاريخ الانسانية .

غير أنه إذا كانت الزيادة السكانية نتيجة من نتائج التقدم والانتعاش الاقتصادى ، فإن ذلك يتنافى أو يتعارض مع رأى آخر يقول إن الإنسان عندما يرتفع فى السلم الاقتصادى يكون لنفسه تقاليد وعادات معيشية جديدة تتلاءم مع التحسن المطرد فى مستواه الاقتصادى وأن مستواه الإجتماعى حينئذ قد يحتم عليه أن يحدد نسله أو يضبطه . ولذلك نجد أنه كلما ارتفع الإنسان فى مستواه الاقتصادى أصبحت طرق تنظيم النسل حقيقة واقعة فى حياته .

رابعاً : — الأديان السماوية تدعو فى جوهر فلسفتها إلى الزيادة السكانية . فالأديان السماوية الثلاث الإسلام والمسيحية واليهودية تهدف نحو التوسع السكانى أو هى على الأقل تمهد الأذهان وتوحى إليها بذلك فى القرآن الكريم هناك الآية : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا

كما أنه أى الدين الإسلامى ينهى بطريقة أو بأخرى عن تحديد النسل من خلال معنى الآية الكريمة : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ، نحن نرزقهم وإياكم » .

وقد زاد المسلمون زيادة كبيرة غداة الرسالة المحمدية وخاصة بعد تغلغل قواعدها الأخلاقية فى نفوس عرب شبه الجزيرة وأقلاعهم عن العادات المألوفة فى الجاهلية مثل وأد البنات infanticide وقتل الأولاد خشية الفقر ، ومما ساعد على النمو السكانى فى ذلك الوقت أيضاً استقرار الأسرة العربية بعد أن كفل لها الإسلام والشريعة ذلك ، بما شرع من أحكام منظمة للزواج ، كما أن الفتوحات الإسلامية فى ذلك الوقت كان لها أثر لا يستهان به فى التشجيع على زيادة التناسل تمشيا مع الحديث الشريف : « تزاوجوا اتناسلوا فإنى مباه بكم يوم القيامة » .

أما الآثار التوسعية للدين المسيحى فتظهر واضحة فى أوربا فى العصور الوسطى خاصة عندما قويت شوكة البابا ورجال الكنيسة فقويت بذلك الناحية الدينية فى نفوس الشعوب ، وفرض على الناس التمسك بحرفية التعاليم المسيحية فى تحريم الاجهاض ومنعه منعا باتاً .

خامساً : — زيادة عدد السكان يؤدى إلى سيادة ظاهرة تقسيم العمل Divisiou of Lal our وهذا يؤدى إلى التخصص Specialization وزيادة الإنتاج ، ومن الذين يقولون بهذا الرأى العلامة الفرنسى « اميل دوركايم E. Durkheim فهو يقسم المجتمعات البشرية بصفة عامة إلى قسمين :

١ — مجتمعات محدودة النطاق قليلة السكان ساذجة بسيطة ، غير معقدة التركيب وغير مميزة الوظائف وغير خاضعة لمبدأ تقسيم العمل ومن ثم فليس للتخصص وجود . وذلك مثل الترابطات أو الإجتماعات الإنسانية الأولى التى لا نجد فيها تمييزا بين الوظائف ، فليس ثمة هيئة خاصة تقوم بشئون

الاقتصاد أو بالتشريع وما إلى ذلك من مستلزمات الحياة الإجتماعية ، وتقوم الوحدة أو الترابط أو التضامن فى مثل هذه المجتمعات المحدوده السكان على أساس ميكانيكى آلى ، أى على أساس التشابه فى الوظائف والواجبات وهذا هو ما يقصد إليه دوركيم Solidarité Mechanique .

٣ — أما حين يتزايد عدد السكان فإننا نكون بإزاء مجتمعات واسعة النطاق معقدة التركيب ومميزة الوظائف وتخضع لمبدأ توزيع العمل والتخصص ، ففى هذه المجتمعات تستقل الهيئات والطوائف وتتوزع الأعمال وتتنوع الوظائف ، ويتعين على كل فرد عمل يؤديه ، ويصبح أداة من أدوات الإنتاج ، وترس صغير فى جهاز المجتمع الضخم الذى يسير بانتظام ، وعنصراً من العناصر الإجتماعية الإيجابيه ، ولا يبنى النفرد والتخصص . فى هذه المجتمعات سيادة الأنانية أو التفرد والتفرق ، بل على العكس فإن المجتمع يظل محتفظاً بوحدته وتضامنه وإن كان الأساس فى الوحدة والتضامن فى هذا النوع من المجتمعات غير الأساس فى المجتمعات المحدودة السكان ، التضامن هنا يقوم على أساس عضوى فزيولوجى وهذا هو مايقصد إليه دوركيم بقوله أن المجتمعات الحديثة المعقدة الكثيرة السكان تقوم على أساس تضامن عضوى So lidarité Organique.

ولا يخفى أن زيادة عدد السكان مع سيادة المبادىء المشار إليها يؤدى إلى المنافسة بين الأفراد ، ويدفعها إلى الابتكار وإلى خلق معنى الذاتية الاجتماعية فى نفوس الأفراد .

غير أننا لابد وأن نشير إلى خطورة الايديولوجيات السكانية التى تقوم على أساس الدوافع العدوانية ، بحجة العنصرية أو تجاهل المصالح الحيوية للشعوب الأخرى .

E. Durkheim : Les Regles de la Methode Sociologique Paris 1927.

الدكتور عبد العزيز عزت رأى فى طبيعة المجتمع البشرى القاهرة ١٩٥٦ .

ويذهب العلامة الفرنسى سوفى Sauvy إلى أن العوامل السكانية كانت من أسباب قيام الحرب العالمية الثانية فيقول : « إن المعاهدات الدولية التى أبرمت بعيد الحرب العالميه الأولى لم يكن يمكن أن يكتب لها البقاء لأنها أهملت قضايا السكان ، فهى مثلا لم تعالج مشكلة الهجرة ! وليس من السهل أيضاح الأزمة الاقتصادية والحرب العالمية الثانية دون الإنتباه إلى نتائج إيقاف الهجرة إلى بلاد العالم الجديد وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية .

والباحث الاجتماعى يمكن أن يلقى الضوء على العلاقة الوثيقة التى تربط مشكلة السكان . فالحرب — فى رأى عدد من علماء السكان — تعتبر أحدى النتائج الخطيرة للضغط السكانى ، فالإنسان وهو يزداد تباعاً فى العدد وتضيق به سبل المعيشة داخل حدود دوله ، قد يفكر فى اغتصاب موارد دولة أخرى ، ومن مؤيدى هذا الرأى E. A. Ross, H. Co. X

وهذا الرأى ولا شك ينطوى على بعض المغالاة فالحرب ظاهرة اجتماعية معقدة وشأنها شأن بقية الظواهر الاجتماعيه ترجع إلى أسباب كثيرة تتفاعل فيها السياسة والإقتصاد والإجتماع والتاريخ ، ومما يوضح مغالاة هذا الرأى أن الهند والصين ودول أسيا عموما وخاصة تلك التى يشتد فيها الضغط السكانى لم تثر حربا شعواء ضد دول أخرى ، بل أن كلا من الهند والصين قد استعمرتا مرة طويلة ، بل إن التاريخ يشهد على أن الدول الغربيه هى التى كانت تثير الحروب من وقت لآخر ، وأن كل ماشهدته أسيا

راجع :

(1)Adolphe Landry : Traité de demographie, Paris, 1949.
Alfred Sauvy : La population, Paris, 1948. P. 5-6

(2) Foundations of Modern world Society, 1948 London by Linden A. Mander.

من حروب فى هذا القرن كان بسبب الدول الغربية ، وذلك أن الحربين المحليتين اللتين نشبتا فى كوريا سنة ١٩٥٠ وفى الهند الصينية سنة ١٩٥٣ كانتا ترجعان إلى أسباب مذهبية أكثر منها سكانية .

ومع ذلك فلا يمكن أن نفكر أن الضغط السكانى مع وجود ثقافة معينة تؤيد مبدأ الحرب كحل للمشاكل الدولية قد يتولد عند انفجار فى الرأى العام المحلى يؤدى إلى الحرب فعلاً . واليابان تنهض دليلا على صحة هذا الرأى ، فهى دولة مكتظة بالسكان وفى نفس الوقت قد شعرت شعوراً قويا بوطأة الإزدحام السكانى ، ولم تجد وسيلة أفضل من الفتح والحرب لحل مشكلتها السكانيه ، فلجأت إليها وأعلنت الحرب على الصين سنة ١٩٢٥ وغزت منشوريا كما أعلنتها على الولايات المتحدة بهجومها المسلح على « بيرل هاربر سنة ١٩٤١ » ونفس الشىء يقال عن غزو إيطاليا لليبيا والحبشه : وهذه النظرية تصدق أيضا على كثير من الأحداث التاريخية .

فعظمة الأغريق القدماء لا يمكن تعليلها إلا فى ضوء عدة اعتبارات من بينها الحصوبة العدديه ، فقد ساعدتهم الكثرة العددية فى بناء امبراطورية ضخمة فى سواحل البحر الأبيض المتوسط ، وكذلك أهل فينيقيا الذين لم يجدوا مجالا حيويا لاعدادهم المتزايدة فى سهولهم الضيقة الحصوره بين جبال لبنان والبحر .

وعندما بدأ الهرم يدب فى أوصال دولة الأغريق كانت دولة الرومان الفتية فى أوج شبابها غنية برجالها فدان لهم العالم القديم إلى أن طرأ عليهم ماطرأ على اليونان فقل نسلهم وعجزوا عن تعويض قتلاهم فى الحروب الطاحنة التى خاضوا غمارها فيما بعد .

والعرب فى جاهليتهم الأولى كانوا يتكاثرون بسرعة أو يذهب بعض المفكرين إلى القول بأن وأد البنات أو قتل الأطفال كان وسيلة هدتهم إليها الطبيعة وصقلتها التقاليد ورسبتها فى نفوسهم لكى يوازنون

به بين أعدادهم و.واردهم الاقتصادية المحدودة ، فلما جاء الإسلام ونهاهم القرآن عن هذه العادة البربرية محرماً إزهاق النفس البشرية إلا بالحق وناهيا عن قتل الأبناء خشية الاملاق ، تزايد السكان بسرعة ، وقد تفاعلت هذه الزيادة مع عوامل أخرى روحية ودينية ونفسية جعلت المسلمين يجدون فى الفتوحات الخارجية مجالا لفيض حيويتهم ومتسعاً لاستيعاب نتاج خصوبتهم ، وحينما استناموا إلى الترف والدعة دب الوهن فى أوصال امبراطوريتهم فنقص عددهم وقعدت أعمارهم وضاعت شوكتهم .

وما يقال عن الاغريق والرومان والعرب يمكن أن يقال عن التتار والمغول والأتراك وقبائل الهون التى دهمت أوربا فى مطلع التاريخ الوسيط .

كذلك يرجع بعض المؤرخين قوة فرنسا العسكرية من القرن السابع عشر إلى الغزارة السكانية للشعب الفرنسى فى ذلك الوقت ، وهذا هو الواقع الآن بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى واليابان قبل انهيارها والصين بعد ثورتها الاشتراكية فهذه الشواهد كلها ظواهر حيوية تبين أثر التفوق العددى السكانى فى قوة الأمة وبالعكس فإن تدهور فرنسا السياسى والاقتصادى فى الوقت الحاضر مرتبط أوثق الارتباط بتناقص سكانها .

وحين يعطى العلماء للوفرة العددية فى السكان هذه الأهمية فى نهضات الأمم ، فإننا لانهمل عوامل أخرى مهمة كالخبرة والثقافة والموارد الطبيعية ، ولكن هذه العوامل تعطى خيراً أكثر إذا كانت مقرونة بالكثرة العددية .

ثانيا — نظريات تنادى بالحد من الزيادة السكانية :

Restrictive Population Doctrines :

وقد ظهرت هذه النظريات منذ برزت أمام المفكرين المشكلة الإنسانية العتيدة وهى كيفية ملاءمة أعداد الناس مع البيئة التى تعيش فيها ، فموارد

الطبيعة مهما تعددت وتنوعت لا يمكن أن تفى برغبات الإنسان وتشبع مطالبه المتزايدة فى الحياة . وكلما تزايدت أعداد الناس فى المجتمع الواحد كلما اتخذ تفكير الناس طابعاً عميقاً فى كيفية استغلال كل مظهر من مظاهر الطبيعة المحيطة به استغلالا اقتصاديا مفيدا . ومن هنا جاء القول بأن هناك ثمة علاقة بين عدد السكان من جهة والموارد الاقتصادية من جهة أخرى وأن هذه العلاقة النسبية هى الأساس الأول فى المشكلة السكانية منذ أقدم العصور إلى وقتنا هذا .

ولقد كانت سياسة منع السكان من التزايد السريع من السياسات البارزة منذ أقدم العصور ، وإن كان الأمر فى الأخذ بهذه السياسات لم يكن سافراً أو مباشراً بل كان يجد فى أكثر الأحيان مبررات اجتماعية عديدة بعيدة فى الظاهر عن جوهر المشكلة . ويرى عدد كبير من علماء السكان أن الانسان قد اتبع منذ القدم وسائل عديدة يتحايل بها على الحد من الزيادة السكانية ، أهم هذه الوسائل هى :

١ — وأد الأولاد Infanticide : أى قتل الأطفال بعد ولادتهم مباشرة ، وقد سادت هذه العادة بشكل واضح فى العصور القديمة ، ولا تزال رواسبها موجودة فى بعض الجماعات المتخلفة فى أفريقيا وآسيا واستراليا . ويؤكد بعض المفكرين الاجتماعيين وعلماء الانثربولوجيا أن أكثر شعوب العالم القديم ومنها الشعب اليونانى والرومانى وعرب الجاهلية وباقى شعوب البحر الأبيض المتوسط قد أخذت بهذه العادة بطريقة أو بأخرى . ويعزو بعض الاقتصاديين هذه العادة إلى أسباب اقتصادية محضة . وهى الموازنة بين عدد السكان وبين مصادر الثروة المحدودة ، وهم يرفضون مثلا الرأى القائل بأن عرب الجاهلية كانوا يقتلون بناتهم دفاعا عن الشرف وخوفا من تعرضهم للعار فى المستقبل .

ولا شك أن ظاهرة وأد الأولاد أخذت فى التلاشى من تلقاء نفسها

كنتيجة للتطور الفكرى والعقلى والتقدم الحضارى ونزول الرسالات السماوية التى حاربت هذه العادة الرميمة ، واعتبرتها عادة بربرية يجب أن يأنف الإنسان منها وبعد اكتشاف العقافير الطبية التى يمكن أن تمنع النسل منذ البداية وإن كان العلامة « تومبسون Thompson [1] » يؤكد أن هذه العادة ما زالت موجودة فى بعض جهات الهند والصين وخاصة التبت وكذلك فى بعض أقاليم الصين النائية ، ومع ذلك فمن المستبعد أن يكون لوأد الأولاد وجود فى الصين اليوم ذلك أن السياسة الاشتراكية ضد تحديد النسل على طول الخط .

٢ — الإجهاض Abortion وهو وسيلة من وسائل التخفيف من التزايد السكانى ، ويرجع تاريخ استخدامها إلى آلاف السنين وهى وسيلة لاتختلف فى طبيعتها عن الوسيلة السابقة ، وإن كان الإجهاض لم يقاوم بنفس العنف الذى قومت به عادة قتل الأولاد ، ولذلك استمر الإنسان يمارس هذه العادة حتى اليوم فى كثير من جهات العالم ، ويتم الإجهاض عادة فى سرية تامة فأغلب القوانين الوضعية أصبحت تحرم هذه العادة وأصبحت تعاقب من يثبت لجوءه إليها .

٣ — قتل المسنين والشيوخ والمرضى . وقد كان لهذه الوسيلة أثر كبير فى الحد من تزايد السكان . فقد كانت بعض الأشكال الاجتماعية وخاصة القبائل والبطون والعشائر تلجأ إلى هذه الوسيلة فى حالات القحط الشديد أو حالات الانتقال بسبب الغزو أو الحرب .

٤ — الحروب . كانت الحروب ولا تزال وسيلة من أهم وسائل الحد من الزيادة السكانية فى العالم ، وقد كانت الحرب سمة من السمات التى تميزت بها المجتمعات التاريخية والمجتمعات المتمدينة إلى وقتنا هذا ، ويكمن الأثر الفعال لهذه الوسيلة فى أنها لا تحد من السكان فحسب بل وتمنع تزايدهم

(1) Thompson : Population Problems

فى المدة التى تلى الحرب ، ذلك لأن القتال والمعارك تفنى فى الغالب ثمرات الشباب فى أى دولة ، وبذلك يختل التوازن فى فئات السكان ، فنجد المجتمع بعد الحرب ممثلا من أغلبية فى سن الشيخوخة وأغلبية فى سن الطفولة وأقلية نسبية فى الشباب الذين هم فى سن الأخصاب الطبيعى .

٥ — الهجرة . وكانت الهجرة وسيلة جماعية للحد من زيادة السكان فى أى إقليم ولا تزال هذه الوسيلة متبعة إلى الآن ، وهى إحدى الوسائل السليمة المشروعة فى مواجهة التزايد السكانى . والتاريخ زاخر بأنواع عديدة من الهجرات والتى كان لبعضها آثار بعيدة المدى فى تاريخ الإنسانية . وسنتكلم عن الهجرة بالتفصيل فى موضع قادم من هذا الكتاب .

٦ — ومن الوسائل التى لجأ إليها الناس للاقلال من عدد السكان وسيلة العزل Isolation ، والعزل عبارة عن إبعاد الزوجين وانفصالها الجسدى والمعيشة لفترة من الزمن ، وقد وجدت هذه العادة فى كثير من الشعوب القديمة ، ولا تزال موجودة فى بعض القبائل المتخلفة فى الحضارة والمعاصرة حاليا فى جهات متعددة من أفريقا وآسيا ، و « العزل » فى هذه الجماعات يعتبر من التقاليد الاجتماعية التى لها صفة القداسة والإلزام والتى يتعرض مخالفوها لأشد أنواع العقاب الجمعى المادى والمعنوى ، ويدخل بعض المفكرين فى عداد العزل ذلك التقليد القديم الذى كان يحرم الزواج على الأرملة التى مات عنها زوجها ، هذا وللفقهاء العرب والمسلمين خاصة فهما خاصا لطريقة « العزل » باعتباره وسيلة لمنع الانسال وبالتالى عامل من عوامل تحديد النسل [1] .

(١) راجع ماورد بهذا الصدد فى كتاب الدكتور عبد العزيز عزت « الاتحاد والنظام والعمل » القاهرة ١٩٥٣ ص ١٠٢

وقد اعتمد على أقوال السمرقندى فى بستان العارفين ص ١٤٦ — ١٤٧

وكتاب نيل الأوطار للشوكانى ج ٦ ص ١٩٥

وابن سينا القانون طبعة مصر ص ٥٧٩

وقد سادت الآراء والنظريات التى تنادى بوجوب وضع حد للتزايد المستمر فى سكان العالم ، منذ أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، وما زال فريق كبير من علماء السكان الإجتماعيين والاقتصاديين يحملون لواء هذه الدعوة فى ضوء الاعتبارات الآتية :

١ — أن تزايد عدد السكان يؤدى غالباً إلى انخفاض مستوى المعيشة فى البلاد ذات الموارد المحدودة ، والكفاية الإنتاجية المتخلفة .

٢ — أن تزايد عدد السكان يؤدى إلى انخفاض المستوى الصحى وانتشار الأمراض والأوبئة فتكدس السكان ، خاصة إذا لم تساير هذه الزيادة رعاية صحية للطفولة وسياسة إسكانية سليمة ، يؤثر على مستواهم الصحى

٣ — أن تزايد السكان قد يؤدى إلى الحروب ، أو الاستعمار ، خصوصاً إذا ما ضاقت موارد الدولة عن حالة سكانها ، فإنها تتطلع إلى فتح أسواق جديدة أو البحث عن موارد جديدة ، على نحو ما رأينا من السياسة النازية فى دعواها إلى إيجاد ما أسمته بالمجال الحيوى لألمانيا .

٤ — أن تزايد السكان مع قلة الموارد الغذائية وضعف الكفاية الإنتاجية ، قد يؤدى إلى انتشار المجاعات ، وغرس المبادئ المتطرفة والفوضى الإجتماعية .

ولعل أهم النظريات التى ذاعت عن تنادى بتحديد النسل هى نظرية مالتس Malthus ، وقد رأينا أن نفرد لعلاجها المبحث التالى .